

خطورة الكذب

عناصر الخطبة:

تعريف الكذب وأين يكون
دواعي الكذب
أمارات الكذب
ذم الكذب في القرآن والسنة
صور الكذب

التفصيل

الكذب لغة: الكَذْبُ نقيضُ الصِّدْقِ كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا. . . تقول كَذَّبْتَ الرجلَ إذا نسبته إلى الكذب وأكذبتُه إذا أخبرت أن الذي يحدث به كذب. (١)

الكذب اصطلاحاً: الإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ سَوَاءٌ فِيهِ الْعَمْدُ وَالْخَطَأُ إِذْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِثْمُ يَتَّبِعُ الْعَمْدَ (٢)

خطورة الكذب: رأس الذنوب الكذب: هو يؤسسها، وهو يتفقدتها، ويثبتها، ويتلون ثلاثة ألوان: بالأمنية، والجحود، والجدل، يبدو لصاحبه بالأمنية الكاذبة فيما يزين له من الشهوات، فيشجعه عليها بأن ذلك سيخفى، فإذا ظهر عليه قابله بالجحود والمكابرة، فإن أعياء ذلك ختم بالجدل، فخاصم عن الباطل، ووضع له الحجج، والتمس به التثبت، وكابر به الحق حتى يكون مسارعاً للضلالة، ومكابراً بالفواحش (٣).

(١) هُوَ الْكَذْبُ. وَالْمِزْنُ، مَا نَ يَمِيزُ، وَهُوَ مَائِنٌ. وَالْإِفْكَ. وَالْحَرْصُ، رَجُلٌ حَرَّاصٌ. وَفِي الْقُرْآنِ: {قَاتِلِ الْهَارِصُونَ}. وَالْحَرْصُ أَيْضاً هُوَ الْحَزْرُ، يُقَالُ: كَمْ حَرْصٌ نَخْلِكَ، أَيْ كَمْ مَا يُحْزَرُ مِنْ ثَمَرِهِ. وَفِي فَلَانٍ ثَمَلَةٌ، وَوَلَعٌ، أَيْ كَذِبٌ.

وَاحْتَلَقَ الرَّجُلُ وَخَلَقَ، وَاحْتَرَقَ وَحَرَقَ، إِذَا كَذَبَ. وَفِي الْقُرْآنِ: {وَخَرَفُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَاتٍ}.

وَفَلَانٌ يُشَرِّحُ الْأَحَادِيثَ، أَيْ يَضَعُهَا. وَيُقَالُ: شَرَّحَ أَشْرُوْحَةً، إِذَا عَمِلَ حَدِيثاً كَذِباً.

وَكَذِبَ سُمَّاقٌ، وَصُرَّاحٌ وَصُرَّاجِيَّةٌ: مُحَضٌّ. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ، يُقَالُ: شَيْءٌ صِرَاحٌ، بِكسْرِ الصَّادِ. إِذَا كَانَ خَالِصاً، كَأَنَّهُ سُمِّيَ بِالمصدرِ، صَارِحْتُهُ صِرَاحاً. وَقَدْ يُقَالُ: صَرِيحٌ وَصُرَّاحٌ. كَمَا يُقَالُ: كَرِيمٌ وَكُرَامٌ.

وَالرَّجُلُ كَذَّابٌ، وَكَيْدِبَانٌ وَكَيْدِبَانٌ جَمِيعاً، وَكُذِّبْتُ. انظر: التلخيص في معرفة أسماء الأشياء (ص: ٩١)

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٥٢٨).

(٣) الأدب الصغير والأدب الكبير (ص: ٤١).

والكذب يكون في القول والفعل

فمن الأول قوله تعالى: **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ** (النحل: ١٠٥) **ومن الثاني** قوله تعالى: **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** (المنافقون: ١)

قال الراغب: فإن كذبهم كان في اعتقادهم لا في قولهم فإن قولهم كان صدقا (إنك لرسول الله) وقال ابن كثير: **وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**: أي: فيما أخبروا به، وإن كان مطابقاً للخارج؛ لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه؛ ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم.

ومن الاثنيين **معا** قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَّاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجاً يَمَنُّ حَارِبَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}** (التوبة: ١٠٧)

قال القرطبي: أي يعلم خبث ضمائرهم وكذبهم فيما يحلفون عليه. (٤)

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (الحشر: ١١)

قال القرطبي: أي في قولهم وفعلهم. ويبين كذبهم في قولهم وفعلهم قوله تعالى: **{لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ}** (الحشر: ١٢)

ومن الاثنيين كذلك ما قصه الله تعالى عن اخوة يوسف حيث قال: **{وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءَ يَسْأَلُونَ} (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨)}**.

دواعي الكذب:

قال الماوردي: **وَأَمَّا دَوَاعِي الْكَذِبِ فَمِنْهَا: اجْتِنَابُ النَّفْعِ وَاسْتِدْفَاعُ الضَّرِّ، فَيَرَى أَنَّ الْكَذِبَ أَسْلَمٌ وَأَغْنَمٌ فَيَرْتَضِي لِنَفْسِهِ فِيهِ اغْتِرَارًا بِالْخُدْعِ، وَاسْتِشْفَافًا لِلطَّمَعِ. وَرُبَّمَا كَانَ الْكَذِبُ أَبْعَدَ لِمَا يُؤْمَلُ وَأَقْرَبَ**

^٤ انظر مقاييس اللغة ١٦٨/٥ وتفسير القرطبي لسورة التوبة آية ١٠٧ وتفسير ابن كثير لسورة المنافقون

لَهَا يَخَافُ؛ لِأَنَّ الْقِيحَ لَا يَكُونُ حَسَنًا وَالشَّرَّ لَا يَصِيرُ خَيْرًا. وَلَيْسَ يُجْنَى مِنَ الشُّوكِ الْعَنْبُ وَلَا مِنَ الْكَرَمِ الْحَنْظَلُ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: لِأَنَّ يَضْعَنِي الصِّدْقُ وَقَلَّمَا يَفْعَلُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرَفَعَنِي الْكُذِبُ وَقَلَّمَا يَفْعَلُ. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الصِّدْقُ مُنْجِيكَ وَإِنْ خِفْتَهُ، وَالْكَذِبُ مُرْدِيكَ وَإِنْ أَمِنْتَهُ.

ومنها: أَنْ يُؤَثَّرَ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُهُ مُسْتَعْدَبًا وَكَلَامُهُ مُسْتَظَرَفًا، فَلَا يَجِدُ صِدْقًا يُعَذَّبُ وَلَا حَدِيثًا يُسْتَظَرَفُ، فَيَسْتَحْلِي الْكُذِبَ الَّذِي لَيْسَتْ غَرَائِبُهُ مَعْرُوزَةً، وَلَا ظَرَائِفُهُ مُعْجَزَةً. وَهَذَا النَّوعُ أَسْوَأُ حَالًا مِمَّا قَبْلُ؛ لِأَنَّهُ يَصْدُرُ عَنِ مَهَانَةِ النَّفْسِ وَدَنَاءَةِ الْهَمَّةِ. وَقَدْ قَالَ الْجَاحِظُ: لَمْ يَكْذِبْ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا لِيَصْغِرَ قَدْرُ نَفْسِهِ عِنْدَهُ.

ومنها: أَنْ يَقْصِدَ بِالْكَذِبِ التَّشْفِيَّ مِنَ عَدُوِّهِ فَيَسْمُهُ بِقَبَائِحَ يَخْتَرِعُهَا عَلَيْهِ، وَيَصِفُهُ بِفَضَائِحَ يَنْسُبُهَا إِلَيْهِ. وَيَرَى أَنَّ مَعْرَةَ الْكُذِبِ عُنْمٌ وَأَنَّ إِرْسَالَهَا فِي الْعَدُوِّ سَهْمٌ وَسُمٌّْ. وَهَذَا أَسْوَأُ حَالًا مِنَ النَّوعَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْكُذِبِ الْمُعْرِ وَالشَّرِّ الْمُضِرِّ. وَلِذَلِكَ وَرَدَ الشَّرْعُ بِرَدِّ شَهَادَةِ الْعَدُوِّ عَلَى عَدُوِّهِ.

ومنها: أَنْ تَكُونَ دَوَاعِي الْكُذِبِ قَدْ تَرَادَفَتْ عَلَيْهِ حَتَّى أَلْفَهَا، فَصَارَ الْكُذِبُ لَهُ عَادَةً، وَنَفْسُهُ إِلَيْهِ مُتَقَادَّةً، حَتَّى لَوْ رَامَ مُجَانَبَةَ الْكُذِبِ عَسَرَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْعَادَةَ طَبْعٌ ثَانٍ. وَقَدْ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ: مَنْ اسْتَحْلَى رِضَاعَ الْكُذِبِ عَسَرَ فِطَامُهُ. وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ: لَا يَلْزِمُ الْكُذَّابَ شَيْءٌ إِلَّا غَلَبَ عَلَيْهِ. (٥)

أمارات الكذب: قال الماوردي: وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْكَذَّابِ قَبْلَ خِبْرَتِهِ أَمَارَاتٍ دَالَّةٌ عَلَيْهِ. فَمِنْهَا: أَنَّكَ إِذَا لَقِنْتَهُ الْحَدِيثَ تَلَقَّنَهُ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ مَا لَقِنْتَهُ وَبَيْنَ مَا أوردَهُ فَرْقٌ عِنْدَهُ. وَمِنْهَا: أَنَّكَ إِذَا شَكَّكَتَهُ فِيهِ تَشَكَّكَ حَتَّى يَكَادَ يَرْجِعُ فِيهِ، وَلَوْ لَأَكَ مَا تَخَالَجُهُ الشُّكُّ فِيهِ. وَمِنْهَا: أَنَّكَ إِذَا رَدَدْتَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ حُصِرَ وَارْتَبَكَ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ نُصْرَةٌ الْمُحْتَجِّينَ، وَلَا بُرْهَانَ الصَّادِقِينَ. وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: الْكُذَّابُ كَالسَّرَابِ.

ومنها: مَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ مِنْ رِيْبَةِ الْكُذَّابِينَ وَيَنُمُّ عَلَيْهِ مِنْ ذِلَّةِ الْمُتَوَهِّمِينَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ أُمُورٌ لَا يُمَكِّنُ الْإِنْسَانَ دَفْعَهَا عَنْ نَفْسِهِ؛ لَهَا فِي الطَّبَعِ مِنْ آثَارِهَا. وَلِذَلِكَ قَالَتِ الْحُكَمَاءُ: الْعَيْنَانِ أَنْتُمْ مِنَ اللِّسَانِ. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ: الْوُجُوهُ مَرَايَا تُرِيكَ أَسْرَارَ الْبَرَايَا.

(٥) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٦٣).

وَإِذَا اتَّسَمَ بِالْكَذِبِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ شَوَارِدُ الْكَذِبِ الْمُجْهُولَةُ، أَكَاذِيهِ زِيَادَاتٌ مُفْتَعَلَةٌ حَتَّى يَصِيرَ الْكَاذِبُ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ مَعْرَةِ الْكَذِبِ مِنْهُ وَمَضْرَّةِ الْكَذِبِ عَلَيْهِ. ثُمَّ إِنَّهُ إِنْ تَحَرَّى الصِّدْقَ أَثَمَ، وَإِنْ جَانَبَ الْكَذِبَ كُذِّبَ، حَتَّى لَا يُعْتَقَدَ لَهُ حَدِيثٌ يُصَدَّقُ، وَلَا كَذِبٌ مُسْتَنْكَرٌ.^(٦)

ذم الكذب في القرآن والسنة: ولقد ذم الله تعالى الكذب في كتابه وذمه رسول الله ﷺ في سنته بصورة عامة فقال الله تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} وقال سبحانه: {وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} [الجنائيات: ٧].
- وقال عز وجل: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ} [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا))^(٧)

ومع هذا الذم العام جاء ذكر الكذب في صور عديدة ونحن إن شاء الله تعالى نذكر التحذير من الكذب في سياق ذكرنا لهذه الصور فنقول وبالله التوفيق:

صور الكذب؛ للكذب صور كثيرة منها:

١- الكذب على الله تعالى ورسوله:

وهذا أعظم أنواع الكذب، والكذب على الله نوعان:

النوع الأول أن يقول: قال الله كذا، وهو يكذب.

والنوع الثاني: أن يفسر كلام الله بغير ما أراد الله؛ لأن المقصود من الكلام معناه، فإذا قال: أراد الله بكذا كذا وكذا، فهو كاذب على الله، شاهد على الله بما لم يرده الله عز وجل، لكن الثاني إذا كان عن اجتهاد وأخطأ في تفسير الآية فإن الله تعالى يعفو عنه؛ لأن الله قال: {وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ

^(٦) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٦٥).

^(٧) صحيح البخاري (٦٠٩٤) صحيح مسلم (٢٦٠٧).

مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨] وقال: {لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦] وأما إذا تعمد أن يفسر كلام الله بغير ما أراد الله، اتباعاً لهواه أو إرضاء لمصالح أو ما أشبه ذلك، فإنه كاذب على الله عز وجل.

وقد حذر الله تعالى من هذا النوع من الكذب في جملة آيات من القرآن منها قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أُذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ} (٦٠)

وقال - عز وجل -: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ}.

وقال - عز وجل -: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

ومنه قول اليهود والنصارى: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (٧٨)

ويدخل فيه من أفتى بغير علم مع إعراضه عن التعلم وادعاء العلم كالذي يجاهد ويناضل على أن أهل الكتاب من الذين لا يؤمنون بالنبي ﷺ يدخلون الجنة...

فهذا كذب على الله تعالى فإن النصوص متواترة في أن من لم يؤمن بالنبي ﷺ مع بلوغ الدعوة إليه حرم الله عليه الجنة وكان من أهل النار، وهذا يصد أهل الكتاب عن الإيمان بالنبي ﷺ، ويفتح المجال لتشكك المسلمين - من قليلي العلم في دينهم - بل وردتهم عن الإسلام، وهذا كله من الكذب على الله تعالى

ومن ذلك قول من قال بأن بيع الخمر ليس حراماً أو الفوائد الربوية ليست حراماً أو من يحكي الأقوال الفقهية للناس خطئها وصوابها ثم يقول لهم اختاروا ما شئتم من هذه الأقوال يعني كأنه يقول المسألة فيها قولان قول للنبي ﷺ وقول لفلان من الناس فاختر أيها شئت فأين مكانة النبي ﷺ ثم يزعم أن هذا من التيسير على الناس

وأما الكذب على النبي ﷺ فهو داخل في الآيات لأن النبي مبلغ عن الله تعالى وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)) (٨) قال ابن حجر الهيتمي: عَدُّ هَذَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ هُوَ مَا صَرَّحُوا بِهِ وَهُوَ ظَاهِرٌ، بَلْ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْنِيُّ: إِنَّ الْكُذْبَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كُفْرٌ. وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ: وَقَدْ ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ الْكُذْبَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ كُفْرٌ يُخْرِجُ عَنِ الْمِلَّةِ، وَلَا رَيْبَ أَنْ تَعَمَّدَ الْكُذْبَ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي تَحْلِيلِ حَرَامٍ أَوْ تَحْرِيمِ حَلَالٍ كُفْرٌ مَحْضٌ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِي الْكُذْبِ عَلَيْهَا فِيمَا سِوَى ذَلِكَ.

٢- الكذب في البيع والشراء: كحال من ينفق سلعته بالأيمان الكاذبة، ومن يغش المشتري بجودة بضاعته. فما أكثر ما يقع هذا بين الناس، مع عظم خطورته وشدة الوعيد فيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: ((الْحَلْفُ مُنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ، مُمَحَقَّةٌ لِلْبَرَكَاتِ)) (٩) ولفظ مسلم ((الْحَلْفُ مُنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ، مُمَحَقَّةٌ لِلرِّيحِ)) (١٠)

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((الْمُسْبِلُ، وَالْمُنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سَلْعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ)) (١١)

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكْ لَهَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَةٌ بَيْنَهُمَا" (١٢)

٣- الكذب لإفساد ذات البين: فمن الناس من يخلق الأقاويل، وينسج الأباطيل تلو الأباطيل؛ ليفسد بذلك ذات البين، ويحل محلها القطيعة والبين. ولا يقوم بهذا الصنيع إلا دنيء النفس حقيرها، فإصلاحه عزيز، والحيلة معه قليلة، وصدق، وهو بحق جدير بالحرمان من نعيم الجنة

(٨) صحيح البخاري (١/ ٣٣) ح (١١٠).

(٩) صحيح البخاري (٣/ ٦٠) ح (٢٠٨٧).

(١٠) صحيح مسلم (٣/ ١٢٢٨) ح (١٦٠٦).

(١١) صحيح مسلم (١/ ١٠٢) ح (١٠٦).

(١٢) صحيح البخاري (٣/ ٥٨) ح (٢٠٧٩).

كما في حديث همام، قال: كُنَّا مَعَ حُدَيْفَةَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى عُثْمَانَ، فَقَالَ لَهُ حُدَيْفَةُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ)) (١٣) وفي لفظ: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَمَامٌ)) (١٤)

٤- الكذب لإضحاك السامعين وتشويقهم:

فياخبية من يبحث عن إرضاء الناس بإغضاب الله تعالى ويروم القبول عندهم بعذاب الله، عن بهز بن حكيم، حدَّثني أبي عن أبيه، قال: سمعتُ رسولَ الله -ﷺ- يقول: "وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ" (١٥)

٥- الكذب للمفاخرة في إظهار الفضل: فهذا لا بس ثوب الزور عما قريب سيتعري وينكشف مهما أظهر من الفضل بالكذب فعن أسماء، أنَّ امرأةً قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي صَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ تَوْبِي زُورٍ)) (١٦)

٦- الكذب على المخالفين؛ تشفياً منهم ونكايه بهم:

فهذه صفة النفاق العملي وربعه كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَاهَا: إِذَا أَوْثَمْنَ حَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ" (١٧).

٧- الكذب في المطالبات والخصومات: فقل من يصدق حال المطالبات أو الخصومات، وهذا ما يشاهد مرارًا وتكرارًا عند الخصومات في المحاكم وغيرها، وعند حوادث السيارات، فقل أن تجد من ينصف من نفسه، ويقر بخطئه، بل تجد من يكذب؛ كي لا يكون الحق عليه؛ فيتحمل تبعته.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ

(١٣) صحيح البخاري (١٧ / ٨) ح (٦٠٥٦).

(١٤) صحيح مسلم (١٠١ / ١) ح (١٠٥).

(١٥) سنن أبي داود ت الأرنبوط (٣٤٢ / ٧) ح (٤٩٩٠)، وقال الأرنبوط حسن.

(١٦) صحيح البخاري (٣٥ / ٧) ح (٥٢١٩).

(١٧) صحيح البخاري (١٦ / ١) ح (٣٤).

قَطْعَةً مِنَ النَّارِ))^(١٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ))^(١٩)

٨. الكذب للتخلص من المواقف المحرجة: كحال من يكذب على والديه، أو مدرسيه، أو مسؤوليه؛ خوفاً من العقاب أو العتاب. مثل كذب عبد الله ابن أبي بعد قوله والله لئن رجعنا إلى المدينة... الخ الآية فأنزل الله فيه: {اتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (المنافقون: ٢) وعن زيد بن أرقم، قال: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِيٍّ، يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْقُضُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَيْسَ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْرُضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعَمْرٍ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَيَّ أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقْتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ} [المنافقون: ١] فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ))^(٢٠)

٩. نقل الأخبار الكاذبة: كحال من ينقل الأخبار الكاذبة مع علمه بكذبها، فمن كان هذا دأبه فهو كذاب، ومشارك للكذاب في الإثم. عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قَالَ: ((مَنْ حَدَّثَ عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ))^(٢١).

ومن هؤلاء الأخباريون والإعلاميون الذين يختلقون الكذب وينشرونه أو ينشرون كذب غيرهم فيحمل عنهم إلى الآفاق وهم يندرجون تحت حديث سمرة بن جندب، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟)) قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: ((مَا شَاءَ اللَّهُ)) فَسَأَلْنَا يَوْمًا فَقَالَ: ((هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟)) قُلْنَا: لَا، قَالَ: ((لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أُتِيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلْبٌ مِنْ حَدِيدٍ)) قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى: " إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلْبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ

^(١٨) صحيح البخاري (٢٥ / ٩) ح (٦٩٦٧).

^(١٩) صحيح مسلم (٣ / ١٣٣٦) ح (١٧١١).

^(٢٠) صحيح البخاري (١٥٢ / ٦) ح (٤٩٠٠).

^(٢١) سنن الترمذي ت شاكر (٣٦ / ٥) ح (٢٦٦٢). وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ» وهذا الحديث في مقدمة صحيح مسلم.

مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَمِمْ شِدْقَهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلِقْنَا. . . فذكر الحديث بطوله وفيه: قُلْتُ: طَوَّفْتُمَايَ اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ، فَتَحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيَصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. . . الخ الحديث. (٢٢)

فهذا الدجل الإعلامي الذي يقلب الحقائق، ويُلِيس على الناس، فيرفع الأقرام، ويضع الأعلام، ويغري بالرديلة، ويزري بالفضيلة يدخل تحت هذا الوعيد.

١٠- **الكذب على الأولاد:** فكثيراً ما يكذب الوالدان على أولادهما الصغار؛ رغبةً في التخلص منهم، أو تخويفاً لهم؛ كي يكفوا عن العبث واللعب، أو حفزاً لهم كي يجتهدوا في أمر ما، أو غير ذلك. . . وانظر كيف حذر النبي صلى الله من الكذب على الأولاد في أمر قد يتهاون به أكثر الناس ويراه سهلاً فكيف بالأمر العظيمة التي يكذب فيها على الأولاد وكيف بأمرهم الكذب؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ قَالَ: دَعَنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تُعْطِيَهُ؟)) قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كَتَبْتَ عَلَيْكَ كِذْبَةً)) (٢٣)

١١- **ومن أفحش صور الكذب؛ الكذب على الله يوم القيامة بما يعلم المرء أنه عمله.**

كما قال الله تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (٢٤)

وقوله تعالى: {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِيسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} (٢٩).

(٢٢) صحيح البخاري (٢/ ١٠٠) ح (١٣٨٦).

(٢٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٩٨) ح (٤٩٩١) وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح سنن أبي داود. وكذا الشيخ شعيب على هامش السنن.

قال الشنقيطي رحمه الله: والمعنى: أنهم ينكرون ما كانوا يعملون من سوء، وهو الكفر وتكذيب الرسل والمعاصي، وقد بين الله كذبهم، بقوله: {بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [٢٨/١٦]. وأخيراً وبعد الحديث عن الكذب وعن بعض مظاهره والإشارة إلى دوافعه؛ فما أحرى بالعاقل اللبيب أن يحذر الكذب، وأن يلزم الصدق؛ فالصدق منجاة، والكذب مهواة. والله سبحانه وتعالى أمر بالصدق، وأثنى على الصادقين فقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] (التوبة: ١١٩). وقال النبي ﷺ: ((عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة)) نسأل الله الجنة وما قرب إليها من قول وعمل

والحمد لله رب العالمين.